المحاضرة السادسة

ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره

أولا : ترتيب آيات القرآن الكريم.

أ – تعريف الآية: وردت كلمة "الآية" في عدّة مواضع من القرآن الكريم، وبمعان مختلفة، نذكر منها ما يلي:

❖ وردت بمعنى "**العلامة**"، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ البقرة: ٢٤٨، أي: إن علامة ملكه.

❖ وردت بمعنى "**المعجزة**"، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ الرعد: ٣٨، أي: وما كان لرسول أن يأتي بمعجزة، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ الإسراء: ٥٩، أي: وما منعنا أن نرسل بالمعجزات إلا أن كذب بها الأولون.

❖ وردت بمعنى "**العبرة**"، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الحجر: ٧٧، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ النحل: ١٣، وشبههما[1].

أما في الاصطلاح: فهي طائفة من القرآن الكريم، ذات مطلع ومقطع، مندرجة في سورة من القرآن[2].

---

(1) مباحث في علوم القرآن للدكتور محمد دراجي، ص: 69.

(2) مناهل العرفان للزرقاني، ج: 01، ص: 302.

ب – ترتيب الآيات بين التوقيف والتوفيق.

ذهب العلماء إلى أن ترتيب آي القرآن الكريم في المصحف الشريف؛ هو ترتيب توقيفي، لا مجال للاجتهاد فيه، وقد استدلوا بما يلي:

❖ **حديث ابن الزبير** الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه، قال ابن الزبير: قلت لعثمان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ البقرة: ٢٤٠، نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ أو تدعها؟ قال عثمان: "يا ابن أخي لا أغيّر شيئا من مكانه"[3]، فقول عثمان رضي الله عنه: "لا أغيّر شيئا من مكانه"، دليل على أن الترتيب توقيفي، وليس له أن يجتهد فيه.

❖ **حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه،** الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه قال عمر رضي الله عنه: ما سألت رسول الله ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة، حتى طعن بأصبعه صدري، وقال: "تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء"[4]، فقوله ﷺ: "التي في آخر سورة النساء"، دليل على أن الآيات كانت مرتبة في زمن النبوة بتوقيف منه ﷺ، وبوحي من الله عز وجل، ولا دخل لاجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في ذلك.

(3) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قد نرى تقلب وجهك في السماء، رقم: 4530.

(4) رواه مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، رقم: 1617.

❖ **حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه،** الذي رواه الإمام أحمد في مسنده قال عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ شَخَصَ ببصره ثم صوَّبه، ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ... ﴾ النحل: ٩٠"[5].

فقوله ﷺ: "أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة" دليل على أن ترتيب الآيات توقيفي، وكان بوحي من الله تبارك وتعالى.

ثانيا: ترتيب سور القرآن الكريم.

أ – تعريف السورة: السورة **في اللغة هي:** المنزلة الرفيعة، وسور المدينة حائطها المشتمل عليها وسورة القرآن تشبيها بها، لكونه محاطا بها إحاطة السور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر، وقيل: أصلها بالهمز "سؤرة"، ثم أبدلت الهمزة طلبا للتخفيف، والسؤر بقية الشراب، أي: قطعة منه، وسميت السورة من القرآن كذلك لأنها قطعة منه[6].

وفي الاصطلاح هي: "طائفة مستقلة من آيات القرآن الكريم، ذات مطلع ومقطع"[7].

(5) رواه أحمد، ج: 01، ص: 318.

(6) المفردات للأصفهاني، ج: 01، ص: 327.

(7) مناهل العرفان للزرقاني، ج: 01، ص: 312.

ب – ترتيب السور بين التوقيف والتوفيق.

مذاهب العلماء في ترتيب السور –من حيث التوقيف والتوفيق– ثلاثة، وهي كالآتي:

*** المذهب الأول:**

ترتيب السور في المصحف الشريف الذي هو بين أيدينا الآن بمختلف طبعاته ورواياته، هو عمل اجتهادي من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ولم يكن بتوقيف من النبي ﷺ، وقد قال به كثير من العلماء، منهم الإمام مالك رحمه الله واستدلوا بما يلي:

❖ حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قلت لعثمان رضي الله عنه: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتموهما في السبع الطوال، فقال عثمان رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه شيء، دعا بعض من يكتب، فيقول: "ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبيّن لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما،ولم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتهما في السبع الطوال"[8].

(8) رواه الإمام أحمد، 57/01، رقم: 339.

❖ مصاحف الصحابة الكرام رضي الله عنهم، لم تكن على ترتيب واحد قبل الجمع الأخير في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

❖ ثبت عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قرأ سورة النساء قبل سورة آل عمران، وعلى ذلك كان ترتيب مصحف سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، ولكن الترتيب الذي بين أيدينا الآن هو غير ذلك، حيث إن سورة آل عمران قبل سورة النساء.

❋ المذهب الثاني:

ترتيب السور في المصحف الشريف الذي هو بين أيدينا الآن بمختلف طبعاته ورواياته، هو توقيفي من النبي ﷺ، وليس اجتهادا من الصحابة الكرام رضي الله عنهم واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

❖ أجمع الصحابة رضي الله عنهم على ترتيب واحد عند الجمع الأخير في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهم، ولم يتمّ إجماعهم ذلك إلا لأن ذلك الترتيب كان عن توقيف من النبي ﷺ، فلو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم.

❖ حديث حذيفة الثقفي رضي الله عنه، قال: "كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف...فقال لنا رسول الله ﷺ: طرأ علي حزب من القرآن فأردت ألا أخرج حتى أقضيه، فسألْنا أصحابَ رسول الله *، قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشر سورة، وثلاث

عشرة وحزب المفصل من "ق" حتى نختم"[9]، وفي هذا دليل على أن ترتيب السور على ما هو عليه الآن كان على عهد رسول الله ﷺ.

*** المذهب الثالث:**

ترتيب السور في المصحف الشريف الذي هو بين أيدينا الآن بمختلف طبعاته ورواياته، هو توقيفي من النبي ﷺ، في بعض السور، واجتهاد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم في البعض الآخر، واستدل أصحاب هذا القول بالجمع بين الأدلة التي استدل بها أصحاب المذهبين الآخرَيْن، فذهبوا إلى أن كثيرا من السور قد وردت نصوص في ترتيبها، كالسبع الطوال، والحواميم، والمفصّل، وما عدا ذلك مما لم يرد في ترتيبه نص رُتّب باجتهاد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذهب البيهقي إلى أن ترتيب السور كله توقيفي إلا سورتي التوبة والأنفال[10].

القول الراجح:

قال السيوطي: "والذي ينشرح له الصدر؛ ما ذهب إليه البيهقي، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سورا

(9) رواه الإمام أحمد، 362/31، رقم: 19021.

(10) انظر: **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي، ج: 01 ص: 176-179، **ومناهل العرفان** للزرقاني ج: 01، ص: 314-319، و**مباحث في علوم القرآن** للدكتور محمد دراجي، ص: 80-86.

ولاء، على أن ترتيبها كذلك، وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران، لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب، فلعلّه فعل ذلك لبيان الجواز"[11].

(11) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج: 01 ، ص: 179.